الوعي الذاتي في شخصية صلاح الدين الأيوبي في الرو اية العربية لجورجي زيدان
(دراسة نفسية أدبية)

فطن مشهود بحري
جامعة سونان أمبيل الإسلامية الحكومية بسورابايا
fathinmasyhud@uinsa.ac.id

ملخص البحث:

تتناول هذه الدراسة تحليل شخصية صلاح الدين الأيوبي في رواية *"صلاح الدين الأيوبي"* لجورجي زيدان من خلال الوعي الذاتي وعلم النفس الأدبي .تهدف الدراسة إلى فهم كيف يعكس صلاح الدين صراعًا نفسيًا داخليًا في سياق الأحداث التي يعيشها، وكيف يتم تصوير تطور الوعي الذاتي لديه كقائد عسكري وزعيم سياسي. تقدم الرواية شخصية صلاح الدين كقائد محارب مشهور في التاريخ، لكن الكاتب يعرض أيضًا بعدًا إنسانيًا لهذه الشخصية، حيث يعكس الصراع الداخلي بين الالتزام بالواجب الوطني وحاجة الفرد إلى التوازن الداخلي.

يركز البحث على كيفية تأثير الوعي الذاتي في اتخاذ صلاح الدين الأيوبي لقراراته المصيرية في معركة حطين، وكيفية تعامله مع صراعاته النفسية بين الحاجة إلى القيادة العادلة ومطالب الحرب. كما يُظهر الوعي الذاتي في الرواية من خلال تفاعله مع الشخصيات الأخرى، مثل نور الدين زنكي و الملك ريتشارد قلب الأسد، وكيف تؤثر هذه العلاقات على فهمه لذاته ودوره في التاريخ الإسلامي.

من خلال هذه الدراسة، نسعى إلى إبراز كيف أن الوعي الذاتي ليس مجرد انعكاس لحالة عقلية فردية، بل هو عنصر حاسم في تشكيل القيم الإنسانية والقرارات التاريخية الكبرى. يقدم البحث أيضًا رؤية جديدة حول كيفية تصوير الشخصيات التاريخية من خلال الوعي الذاتي في الأدب العربي، ويعكس الصراع بين الواجب الشخصي والسياسي. تهدف هذه الدراسة إلى فتح آفاق جديدة لفهم التفاعل بين النصوص الأدبية والنفوس البشرية في سياق العصر الرقمي، حيث يتأثر الوعي الذاتي بالتطورات التكنولوجية والاجتماعية.

الكلمات الأساسية: الوعي الذاتي؛ صلاح الدين الأيوبي؛ جورجي زيدان؛ الرواية العربية

جورجي زيدان أديب لبناني ومؤرخ

يُعد جورجي زيدان (1861–1914 م) من أبرز الشخصيات الثقافية التي ساهمت في تشكيل الوعي العربي الحديث في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. فهو أديب لبناني، مؤرخ، وصحفي،

لعب دورًا مهمًا في حركة النهضة العربية من خلال مؤلفاته التاريخية والأدبية، لا سيما رواياته التي جمعت بين السرد القصصي والدقة التاريخية.

وُلد جورجي زيدان في بيروت عام 1861 م لعائلة مسيحية أرثوذكسية من الطبقة المتوسطة. تلقى تعليمه الأولي في مدارس محلية، ثم التحق بالكلية السورية البروتستانتية (التي تُعرف اليوم بالجامعة الأمريكية في بيروت)، حيث درس الطب لفترة قصيرة، لكنه لم يكمل دراسته فيها بسبب ظروف مالية وسياسية. بعد ذلك، توجّه إلى مصر التي أصبحت مركز نشاطه الفكري والثقافي. توفي جورجي زيدان في القاهرة عام 1914 م وهو في أوج عطائه. واصل أبناؤه من بعده إصدار مجلة الهلال، وظلت مؤلفاته تدرّس وتُقرأ في العالم العربي لعقود.

لقد خلّف جورجي زيدان تراثًا ضخمًا جمع بين الأدب والتاريخ، وكان من الأوائل الذين جعلوا الرواية وسيلة لتبسيط العلوم والمعارف التاريخية للجمهور، وهو ما جعله رمزًا من رموز النهضة الفكرية العربية الحديثة. هاجر زيدان إلى القاهرة عام 1882، وهناك انخرط في العمل الصحفي وبدأ يكتب في عدة صحف ومجلات. في عام 1892 أسس مجلة الهلال، التي أصبحت واحدة من أهم المنابر الثقافية في العالم العربي، وواصل إدارتها حتى وفاته. لعبت "الهلال" دورًا رائدًا في نشر الفكر العلمي والتنويري والأدب العربي الحديث.

تميّز جورجي زيدان بإسهاماته الغزيرة في التأريخ للأمم الإسلامية والعربية بأسلوب مبسّط وعلمي، مما جعله أحد مؤسسي كتابة التاريخ للجمهور العام. كتب زيدان العديد من المؤلفات في التاريخ، مثل: تاريخ التمدن الإسلامي، وتاريخ العرب قبل الإسلام، وتاريخ آداب اللغة العربية ولكن شهرته الواسعة جاءت من خلال رواياته التاريخية، والتي تجاوز عددها 20 رواية، منها: فتاة غسان، وصلاح الدين الأيوبي، وشجرة الدر، وأسرار القصور. وقد استوحى هذه الروايات من أحداث تاريخية حقيقية، لكنه أضفى عليها طابعًا روائيًا مشوقًا يمزج بين الأدب والتاريخ، ويهدف إلى إحياء الماضي العربي والإسلامي في وعي القراء.

اتبعت أعمال زيدان منهجًا عقلانيًا وعلمانيًا في قراءة التاريخ والدين. وقد تأثر بالنهضة الأوروبية من جهة، وبالتيارات الإصلاحية الإسلامية والعربية من جهة أخرى، فدعا إلى التحرر الفكري، وتعليم المرأة، ونقد الجمود الديني. ورغم تعرضه للنقد من بعض العلماء بسبب رؤاه، خاصة في تفسيره لأسباب نهضة وسقوط الدول الإسلامية، إلا أن إسهامه في نشر الوعي التاريخي والأدبي لا يُمكن إنكاره.

تعريف الوعي الذاتي والأدب النفسي

شهدت الدراسات الأدبية والنفسية تقاطعًا مثمرًا في فهم الإنسان ونصوصه الإبداعية، حيث يُعدّ الوعي الذاتي أحد المفاهيم الأساسية التي تجمع بين هذين الحقلين. وتبرز أهمية الأدب النفسي بوصفه مرآةً تعكس التفاعلات النفسية الداخلية للأفراد، وتحلل المشاعر، والصراعات، والدوافع الخفية التي تحكم سلوك الإنسان.

الوعي الذاتي (Self-awareness) هو قدرة الإنسان على إدراك ذاته، وأفكاره، ومشاعره، ودوافعه، بشكلٍ مستقل عن العالم الخارجي. ويعد هذا المفهوم حجر الزاوية في علم النفس الإنساني والتحليلي، حيث يساعد الفرد على فهم ذاته واتخاذ قراراته بوعي ومسؤولية. وقد أشار كارل روجرز Carl R. Rogers إلى أن الوعي الذاتي هو أحد مكونات "الذات" التي يتعين على الفرد تطويرها لتحقيق النضج النفسي.[1]

ويتضمن الوعي الذاتي نوعين هما : أولاً؛ الوعي الذاتي الداخلي: وهو إدراك الفرد لنفسه ومعتقداته ومشاعره العميقة. ثانيًا؛ الوعي الذاتي الخارجي: ويتمثل في وعي الفرد بكيفية رؤيته من قبل الآخرين. يمثل الوعي الذاتي أداة أساسية في تطوير الشخصية، حيث يساعد الإنسان على التأمل في تجاربه الحياتية واستخلاص المعاني منها.[2]

يشكل الوعي الذاتي (Self-awareness) حجر الأساس في بناء الشخصية الإنسانية المتكاملة، وهو عنصر محوري في فهم السلوك البشري ودوافعه، خاصة حين يتعلق الأمر بشخصيات قيادية تتفاعل مع السياق الاجتماعي والسياسي والديني. فالوعي الذاتي هو قدرة الفرد على إدراك ذاته بوصفه كياناً مستقلاً، عارفاً بمشاعره وأفكاره ودوافعه، وقادراً على تقييمها وتوجيهها في ضوء المبادئ والقيم التي يؤمن بها. وقد اعتبر دانيال جولمان (Daniel Goleman)، في سياق حديثه عن الذكاء العاطفي، أن "الوعي الذاتي هو جوهر القيادة الحقيقية، لأنه يتيح للقائد أن يضبط عواطفه ويتخذ قراراته بعقلانية وعمق."

وأما الأدب النفسي فيُعرّف بأنه نوع من الكتابة الإبداعية التي تركز على استبطان الشخصية وتحليل البنية النفسية للأبطال في النصوص الأدبية. ولا يُعنى فقط بوصف الأحداث أو الشخصيات، بل يتوغّل في طبقات النفس الإنسانية، باحثًا عن الأسباب الباطنية للصراع والتوتر والسلوك. ظهر الأدب النفسي بشكل واضح في الأدب الغربي مع كتابات دوستويفسكي، ومارسيل بروست، وفرجينيا وولف، حيث اتخذت تقنية تيار الوعي مكانة مركزية في تصوير الحياة الداخلية للشخصيات.[3]

أما في الأدب العربي، فقد ظهرت ملامح الأدب النفسي في أعمال توفيق الحكيم، نجيب محفوظ، وغسان كنفاني، الذين أولوا اهتمامًا كبيرًا بتشريح النفس البشرية، خاصة في ظل التحولات الاجتماعية والسياسية.

يتقاطع الوعي الذاتي مع الأدب النفسي في تحليل الشخصيات التي تعاني من صراعات داخلية، أو تلك التي تسعى لاكتشاف حقيقتها الذاتية. فكلما زادت قدرة الشخصية الأدبية على التعبير عن أعماقها، ارتفعت القيمة النفسية للنص. كما أن القارئ ذاته قد يمر بعملية من "التقمص" أو "الانعكاس"، يكتشف من خلالها أبعادًا جديدة في ذاته من خلال تفاعله مع النص.[4]

---

[1] Carl R. Rogers, On Becoming a Person: A Therapist's View of Psychotherapy (Boston: Houghton Mifflin, 1961), 122.

[2] Daniel Goleman, Emotional Intelligence: Why It Can Matter More Than IQ (New York: Bantam Books, 1995), 45.

[3] James Joyce, A Portrait of the Artist as a Young Man (New York: Viking Press, 1916), introduction.

[4] Norman N. Holland, The Dynamics of Literary Response (New York: Oxford University Press, 1968), 74.

في هذا السياق، تبرز أهمية التحليل النفسي الأدبي الذي يسعى إلى كشف البنية الداخلية للشخصية الروائية، لا سيما حين تكون مستمدة من شخصيات تاريخية كبرى مثل صلاح الدين الأيوبي. فالرواية التاريخية، كما يرى جورج لوكاش (György Lukács)، لا تُعيد إنتاج الوقائع فحسب، بل تعيد تشكيلها في ضوء فهم الكاتب للشخصية والمرحلة، مما يفتح الباب لتفسير نفسي متعدد الأبعاد.[52]

لقد مثّلت رواية "صلاح الدين الأيوبي" للأديب اللبناني جورجي زيدان نموذجاً سردياً فريداً في تقديم الشخصية التاريخية لا كرمز سياسي أو عسكري فحسب، بل ككائن نفسي تتنازعه التوترات الداخلية، ويقوده وعيه الذاتي إلى بلورة مواقفه تجاه الذات والآخر، الحليف والعدو، الدين والدولة. وتُظهر الرواية صلاح الدين شخصيةً مفكرة، حليمة، ذات نزعة تأملية، تراجع مواقفها وتتفكر في نتائج قراراتها، وهو ما يُعد مظهراً أصيلاً من مظاهر الوعي الذاتي في البناء الروائي.

وتزداد أهمية هذا التحليل حين ندرك أن زيدان – رغم خلفيته العلمانية – رسم شخصية صلاح الدين بطريقة تتوافق مع المفهوم الإسلامي للقائد الذي يجمع بين الفروسية والورع، بين الحكمة والعدل، ما يجعله أكثر من مجرد شخصية سردية، بل نموذجاً نفسياً وإيديولوجياً معقداً.

أوجه الوعي الذاتي لشخصية صلاح الدين الأيوبي في الرو ية

تُعد شخصية صلاح الدين الأيوبي من الشخصيات التاريخية التي تمت إعادة تشكيلها سرديًا في أدب الرواية، ولا سيما في رواية جورجي زيدان. وتتجلى قيمة هذه المعالجة السردية حين ننظر إليها من زاوية التحليل النفسي الأدبي، إذ يمكننا استكشاف مستويات متعددة من الوعي الذاتي الداخلي (Intrapersonal Awareness) والوعي الذاتي الخارجي (Interpersonal Awareness)، وهما بعدان جوهريان في بلورة الشخصية، خاصة في سياقات الصراع والقيادة والتحولات الوجودية.

أولاً: الوعي الذاتي الداخلي (Intrapersonal Awareness)

الوعي الداخلي يمثل إدراك الفرد لعالمه النفسي الخاص، من مشاعر، صراعات، وقيم شخصية. في رواية جورجي زيدان، يظهر هذا البعد في عدة مواقف حرجة:

1- البعد الروحي

ومن أبرز مظاهر الوعي الذاتي الداخلي لدى صلاح الدين في الرواية من الأبعاد الروحانية مشهد تأملاته أثناء مرضه وقبل وفاته، حيث يُجري مراجعةً عميقة لحياته، وينظر إلى الانتصارات التي حققها بعين المراجعة، لا الفخر. يقول في هذا الموضع:

[5] György Lukács, The Historical Novel, trans. Hannah and Stanley Mitchell (Lincoln: University of Nebraska Press, 1983), 35.

"كم من أرض حررتها، وقلوب نسيتها؟ وكم من سيف رفعتُه، وغفلتُ عن جراح البسطاء الذين لم يعرفوا الحرب إلا ضحاياها؟"[6]

في لحظة من العزلة الليلية، ينفرد صلاح الدين بنفسه ويقول:

"إنني صغير أمام قدَر الله، وكل ما أفعل من صنع مشيئته. هل أكون فتنة أم رحمة؟ الله أعلم."

هذه اللحظة من التأمل الوجودي تضع الشخصية في مواجهة مع حقيقتها أمام المطلق، حيث لا يرى في نفسه نبيلاً بالضرورة، بل أداة ضمن مسار إلهي أكبر. هذا النوع من الإدراك يتجاوز الأنا البطولية، ويضع الشخصية في موقع التواضع المعرفي أمام الله والمصير.

2- البعد الأخلاقي

ومن الوعي الذاتي الداخلي أيضا حين يفكر صلاح الدين في دوافع الجهاد، يقول:

"لا ينبغي أن يغلب الغضب على العدل، ولا أن تنسينا الرايات العالية تواضع الدعاء."[7]

هذه العبارة تشير إلى مراجعة داخلية مستمرة للمواقف، مما يعكس عمق الوعي الأخلاقي-الذاتي. ينسجم هذا مع ما يطرحه كارل يونغ Carl Jung حول عملية التفريد ، أي اكتمال الذات عبر الوعي بذاتها الظلية وتوازن القيم المتضادة.

ومن أحد أبرز تجليات الوعي الذاتي في شخصية صلاح الدين هو إدراكه العميق لهويته الأخلاقية كقائد مسلم. فهو لا يتعامل مع القيادة بوصفها سلطة فقط، بل مسؤولية أمام الله والناس والتاريخ. يقول في أحد الحوارات:

"ما أنا إلا عبدٌ لله، سُخِّرت لما فيه خير الأمة."[8]

هذا الوعي الأخلاقي يشير إلى نضج داخلي، إذ يرى نفسه في موقع المسؤولية الأخلاقية لا مجرد موقع القوة، وهو ما ينسجم مع مفهوم "الذات الأخلاقية" في نظريات النفس الإنسانية، كتصور كارل يونغ حول "الذات العليا" التي تسعى نحو تحقيق التوازن والانسجام الداخلي.[9]

3- البعد النفسي

ومن الوعي الذاتي المتعلق بالبعد النفسي المسؤولية والذات القيادية

يتجلّى الوعي الذاتي لدى صلاح الدين من خلال إدراكه العميق لمسؤولياته التاريخية والقيادية. يقول في إحدى لحظات الحوار:

"ما أنا إلا عبد لخالقي، ومجاهد لأمتي، أتحمل ما لا يستطيع الجند حمله، وأخفي ما لا يعلم به غيري."[1]

---

6 · جورجي زيدان، صلاح الدين الأيوبي (القاهرة :مطبعة الهلال، 1913)، 185

7 · المرجع السابق 42

[8] جورجي زيدان، صلاح الدين الأيوبي (القاهرة: دار الهلال، 1907)، 94.

[9] Carl Jung, The Archetypes and the Collective Unconscious, trans. R.F.C. Hull (Princeton: Princeton University Press, 1981), 195.

في هذا التصريح، يُعبّر صلاح الدين عن تفرده في حمل العبء النفسي للقيادة، ووعيه بأن القيادة لا تقتصر على التكتيك، بل تشمل ضبط النفس وكتمان الألم.

وأيضا التأمل في الذات والصراع العاطفي. في سياق علاقته بشجرة الدر، تظهر مستويات متعددة من التأمل الذاتي. ففي موضع آخر يقول:

"أحبها، ولكن أمتي أولى بحبي، ومصير الناس أثقل من نزوة القلب."[2]

هذا القول يكشف عن صراع داخلي حاد بين العاطفة والواجب، ويمثل لحظة إدراك داخلي لماهية التضحية المطلوبة من شخص في موقعه. وهنا يظهر البعد النفسي العميق، حيث يعترف بالضعف الإنساني، لكنه يختار التغلب عليه بالوعي الأخلاقي.

ورغم اشتعال الحروب وضغوط القيادة، فإن صلاح الدين غالبًا ما يُظهر سيطرة على انفعالاته. في أحد المواقف يقول:

"الغضب سلاح الجاهل، أما أنا فأريد أن أملك نفسي قبل أن أملك غيري."[10]

هذا التصريح يكشف عن الوعي العاطفي الذاتي، وهو عنصر مهم في الذكاء العاطفي كما حدده دانيال جولمان. فالانضباط العاطفي ليس قمعًا للمشاعر، بل قدرة على فهمها والتحكم في سلوك الإنسان بناءً عليها.

ومن وعيه بصورة التلميذ أمام أستاذه في أحد الحوارات، يقول صلاح الدين عن نور الدين:

"لو أتيتُ كل فتوح الأرض، ولم أرضِ قلب مولاي نور الدين، لظللتُ صغيرًا في نفسي."[11]

هذا الاعتراف يُعبّر عن وعي اجتماعي عميق بتدرج السلطة والتقدير الشخصي. صلاح الدين لا يرى نفسه منفصلًا عن سُلطة نور الدين الرمزية، بل يعي أن مجده الشخصي مرتبط بصورة "التلميذ المخلص".

في الأدب النفسي، هذا ما يُعرف بالوعي بالعلاقة السلطوية الإيجابية (Positive Authority-Awareness)، حيث يدرك المرؤوس مسؤوليته الأخلاقية في تمثيل إرادة من علّمه وولّاه. وهو نقيض "التمرد الأعمى". يعكس أيضًا ما يُسميه إريك فروم بـ"الطاعة العاقلة" (Rational Obedience)، التي لا تُلغي الذات بل تحترم العلاقة التربوية[12].

ومثال آخر إدراكه للتوازن بين الولاء والطموح. حين يتحدث مع نفسه بعد انتصار مهم في مصر، يقول صلاح الدين:

"أيعقل أن أوسّع ملك مولاي، فأضيق صدري على ملك نفسي؟ لا والله، ما أنا إلا سيفه، لا طامعًا في كرسيه."[13]

---

[10] المرجع نفسه، 154.

[11] جورجي زيدان، صلاح الدين الأيوبي (القاهرة: مطبعة الهلال، 1913)، 77.

[12] Erich Fromm, Escape from Freedom .2 (New ,York: Farrar & Rinehart 1941), 182

[13] جورجي زيدان، صلاح الدين الأيوبي، 91.

في هذا النص، نُلاحظ وعيًا دقيقًا بمكانته أمام السلطة العامة ونظرة الناس له. كان الناس آنذاك يتحدثون عن طموحه بالاستقلال، فيُحاول صلاح الدين الحفاظ على صورته كـ"رجل الدولة الأمين"، لا كقائد طموح يسعى للانفصال. هذا يندرج تحت ما يسميه جوفمان Goffman بإدارة الانطباع (Impression Management) ، وهي قدرة القائد على التحكم في كيفية إدراك الآخرين لصورته وسلوكه[14].

ونموذج آخر حساسيته السياسية أمام جمهور نور الدين. عندما يُطلب منه إعلان استقلاله عن نور الدين بعد وفاته، يرفض في البداية ويقول:

"ما زال طيفه حيًّا في عيون أهل الشام، فلا أكوننّ أول من يخدش محبته."[15]

هذا تعبير عالٍ عن الوعي الجماهيري الخارجي، أي وعيه بكيفية إدراك المجتمع له إذا اتخذ قرارًا حساسًا. إنه يوازن بين الشرعية السياسية والمشاعر الجمعية المرتبطة بشخصية نور الدين.

في نظرية الذكاء العاطفي السياسي، يُعتبر هذا وعيًا سياقيًا عاطفيًا ناضجًا، إذ لا يتخذ القرار بمعزل عن عواطف الجماعة[16].

ثانيا : الوعي الذاتي الخارجي Interpersonal Awareness

الوعي الخارجي يتجلى في إدراك الفرد لموقعه ضمن السياق الاجتماعي والتاريخي، وقدرته على تفهّم الآخر والتفاعل معه.

1- وعي الذات في معاملة الأحباء

يتكرّر في الرواية مشهدٌ دراميّ حين يتأمل صلاح الدين في وحدته الليلية وهو بين خيارين: اتباع مشاعره تجاه شجرة الدر، أو الوفاء بعهده السياسي والديني. يقول:

"أُحبها، ولكن حبّها فتنة، وقلبي لا يسعه حبّان: حبّ الأمة وحبّ المرأة."[17]

هذا النوع من الحوار الداخلي يعبّر عن صراع الذات بين الدوافع العاطفية والواجبات الأخلاقية، وهو ما يشكل جوهر التحليل النفسي الأدبي: دراسة الصراع الداخلي كمكوّن لبنية الشخصية. وفقًا للأدب النفسي، فإن الشخصية التي تواجه صراعًا أخلاقيًا واعيًا تمتلك مستوى متقدمًا من الوعي الذاتي.[18]

2- وعي الذات في مواجهة الأعداء

حتى في مواقف المواجهة مع الصليبيين، يبدي صلاح الدين وعيًا سياسيًا ونفسيًا فريدًا. يقول خلال مناقشة خطط المعركة:

---

[14] Erving Goffman, The Presentation of Self in Everyday Life (N,ew York: Doubleday 1959), 208-210

[15] جورجي زيدان، صلاح الدين الأيوبي، 117.

[16] ,Daniel Goleman, Leadership: The Power of Emotional Intelligence)Harvard Business Review 2011), 63.

[17] زيدان، صلاح الدين الأيوبي، 117.

[18] Norman N. Holland, The Dynamics of Literary Response (New York: Oxford University Press, 1968), 88.

"عدوي لا أكرهه، بل أفهمه. فهم العدو نصف النصر."

هذه الجملة تختصر رؤية متقدمة للقيادة تقوم على التحليل وفهم الآخر، لا على الانفعال أو الكراهية. إنها دلالة على الوعي الخارجي، وهو نوع من الوعي الذاتي يمتد إلى استيعاب المواقف المعقدة من دون الانغلاق في تصور الذات فقط.

وأيضا يمتلك صلاح الدين وعيًا بالمواقف المتغيرة من حوله، ويظهر هذا في قدرته على فهم دوافع الأعداء والحلفاء على حد سواء. يقول في أحد المواقف:

"الناس يُقاتِلون لأسباب تختلف، منهم من يُقاتل لعقيدة، ومنهم لمنفعة، وفهم ذلك أول مفاتيح النصر."[19]

في علم النفس، يُعرف هذا النمط من التفكير بالبصيرة النفسية (psychological insight) ، وهي قدرة الفرد على فهم سلوك الآخرين من خلال تحليل الدوافع. في الأدب النفسي، يُعتبر هذا الوعي علامة على نضج الشخصية وارتقائها.

في مشهد اللقاء بين صلاح الدين وخصمه ريتشارد، يقول صلاح الدين:

"لسنا أعداء في الإنسانية، إنما اختلفنا في الحق والباطل، فدعنا نحتكم إلى الرحمة، لا إلى الحقد."[20]

هذا التصريح يعكس وعيًا خارجيًا عميقًا، يتضمن إدراك صلاح الدين لصورة نفسه في عين عدوه، وهو يسعى عبر اللغة الأخلاقية أن يعيد تشكيل هذه الصورة، لا بوصفه غازيًا، بل ندًّا إنسانيًا شريفًا.

وهذا يتسق مع نظرية الذكاء العاطفي الاجتماعي عند دانيال جولمان، الذي يرى أن أحد مؤشرات النضج العاطفي هو "القدرة على إدراك انطباعات الآخرين عنا والتصرف وفق ذلك بما يحفظ كرامة العلاقة."[21]

في موضع آخر، يصرّح صلاح الدين لوفد الإفرنج بعد فتح القدس:

"قد نختلف في الملة، لكن لا يجوز أن نختلف في الكرامة، فللناس في الموت حقوق كما في الحياة."[22]

هذا النص يُظهر وعيًا ثقافيًا واجتماعيًا عاليًا؛ فصلاح الدين لا يرى فقط ذاته المسلم، بل يُدرك كيف يرى المسيحيون أنفسهم، ويُخاطبهم بمنطق أخلاقي مشترك يحترم إنسانيتهم.

هذا يتقاطع مع ما يسمى في التحليل النفسي الثقافي بالنزعة التعاطفية العابرة للهوية (Transcultural Empathy)، أي القدرة على "الخروج من إطار الذات الجمعي" لمخاطبة الآخر المختلف بلغة يحترمها.

يقول صلاح الدين لجنده بعد الانتصار:

"لا تُفسدوا علينا نصرنا بالغلظة، فإننا لا نريد أن يُقال :ظفرنا بالسيف، بل بحكمة القلب"[23]

---

[19] زيدان، صلاح الدين الأيوبي، 133.

20 جورجي زيدان، صلاح الدين الأيوبي (القاهرة :مطبعة الهلال، 1913)، .106

[21]Daniel Goleman, Emotional Intelligence (New York: Bantam Books, 1995), 145.

22 جورجي زيدان، صلاح الدين الأيوبي، .130

23 جورجي زيدان، صلاح الدين الأيوبي، .142

هذه العبارة تكشف وعيًا دقيقًا بصورته العامة كقائد؛ فهو يُدرك أن الناس -حتى من خارج أمته - سيحكمون عليه من خلال أفعال جنوده .لذا، فهو يسعى للحفاظ على صورة أخلاقية متوازنة تُترجم إلى سلوك جماعي.

الخلاصة

تجلى أهمية دراسة الوعي الذاتي لشخصية صلاح الدين الأيوبي في رواية جورجي زيدان من خلال تحليل الصراعات النفسية التي عاشها. إذ تعكس الرواية كيف أن الوعي الذاتي لم يكن مجرد عنصر فردي، بل كان له تأثير عميق على القرارات التاريخية الكبرى. يظهر صلاح الدين كقائد يتجلى فيه التوازن بين الواجبات الوطنية والاحتياجات الإنسانية، مما يسهم في تشكيل قيم قيادته.

تؤكد هذه الدراسة على أن الوعي الذاتي يعد عنصرًا حاسمًا في فهم الشخصيات التاريخية، ويفتح آفاقًا جديدة لدراسة العلاقة بين الأدب والنفس البشرية. كما أن الرواية تقدم رؤية إنسانية لشخصية تاريخية شهيرة، مما يعكس أهمية الأدب في تصوير التعقيدات النفسية التي تواجه القادة في أوقات الأزمات.

المصادر والمراجع

جورجي زيدان، صلاح الدين الأيوبي (القاهرة: مطبعة الهلال، 1913)

Fromm, Erich. Escape from Freedom (New York: Farrar & Rinehart.1941)

Goffman Erving The Presentation of Self in Everyday Life. (,New York: Doubleday 1959)

Goleman Daniel Leadership: The Power of Emotional Intelligence)Harvard Business Review 2011)

Holland, Norman N. The Dynamics of Literary Response (New York: Oxford University Press, 1968)

Goleman, Daniel. Emotional Intelligence: Why It Can Matter More Than IQ (New York: Bantam Books, 1995)

Holland, Norman N. The Dynamics of Literary Response (New York: Oxford University Press, 1968)

Joyce, James. A Portrait of the Artist as a Young Man (New York: Viking Press, 1916), introduction.

Jung, Carl. The Archetypes and the Collective Unconscious, trans. R.F.C. Hull (Princeton: Princeton University Press, 1981)

Lukács, György. The Historical Novel, trans. Hannah and Stanley Mitchell (Lincoln: University of Nebraska Press, 1983)

Rogers, Carl R. On Becoming a Person: A Therapist's View of Psychotherapy (Boston: Houghton Mifflin, 1961)